بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع عشر

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله – صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

قال شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ **، وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلَّم ، وهو خاتم النبيين ، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى:** ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ **وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى مُحَمَّد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت . والدليل قوله تعالى :** ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ **، وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله . قال ابن القيم رحمه الله: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع . والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة : إبليس ـ لعنه الله ـ ، ومن عُبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى:** ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ **وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، وفي الحديث: ((رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)) .**

والله أعلم ، وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم .

****

قال المصنف رحمه الله تعالى وغفر له : ((**وأرسل الله جميع الرسلِ مبشرينَ ومنذرين**)) بيّن هنا رحمه الله اتفاقَ جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم على البشارةِ والنذارة ؛ البشارةِ بالتوحيد والنذارةِ من الشرك ، البشارةِ بالجنة وثواب الله لمن عمل بالتوحيد وكان من أهله ، والنذارة من النار لمن كان من أهلِ الشرك الناقضين للتوحيدِ الناكثينَ للإيمان . قال : ((وأرسل اللهُ جميع الرسل مبشرين ومنذرين)) ثم ذكر الدليلَ على ذلك قال :

((**والدليلُ قوله تعالى** : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾)) أي بعث الله سبحانه وتعالى الرسل للبشارةِ والنذارة ، مبشرين الناس ومنذرينهم ، يبشرون الناسَ بالجنة لمن عملَ بعمل أهل الجنة ، ورأسُ عملِ أهل الجنةِ توحيد الله ، ومنذرين من النار ومن العمل بعمل أهل النار ، ورأس أعمال أهل النار الشرك بالله جل وعلا .

قال : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي لئلا يقولَ الناس يوم القيامة ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[المائدة:١٩] ، فالله سبحانه وتعالى أقام الحجة وأبان المحجة وأضح السبيل ببعثة رسله وأنبياءه عليهم صلوات الله وسلامه ، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر:٢٤] .

قال : ((**وأولهم نوحٌ عليه السلام ، وآخرهم محمدٌ صلى الله عليه وسلَّم**)) أولُ الرسل أي إلى أهل الأرض هو نوحٌ عليه السلام ، وذكر المصنف رحمه الله تعالى الدليل على ذلك ، ذكر الدليل على أن أولَ رسولٍ إلى أهل الأرض هو نوحٌ عليه السلام وهو قولُ الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ كما أوحينا إلى أولهم ثم توالوا بعده وبُعثت الرسل تترا بعده ، فكان هو أولهم ، ولهذا قال: ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾، وجاء في الصحيحين في ذكر حديث الشفاعة الطويل أن الناسَ يوم القيامة يأتون نوحاً عليه السلام ويقولونَ له : ((أنت أولَ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض)) والحديث في الصحيحين . فهذا مع الآية الكريمة التي ساق المصنف رحمه الله تعالى فيهما الدليل على أن نوحاً عليه السلام هو أولَ رسولٍ .

ثم ختموا بمحمد عليه الصلاة السلام كما قال المصنف هنا ((**وآخرهم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلَّم**)) ؛ والدليل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠] ، وجاء في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ أنه قال : ((لا نبي بعدي)) ؛ فبه عليه الصلاة والسلام خُتمت النبوات فلا نبي بعده صلوا ت الله وسلامه عليه .

أولهم نوحٌ وآخرهم مُحَمَّد ﷺ، وبين هذين الرسولين بُعث عددٌ كبيرٌ من المرسلين ، جاء في بعض الأحاديث إشارة إلى هذا العدد وحسَّنه بعض أهل العلم ، وهو ما رواه ابن أبي حاتم وغيره من حديث أبي ذر ﷺ قال : «قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟» أي كم عدد الأنبياء الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى؟ قال: ((مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً)) ، قلت : «يا رسول الله كم الرسل منهم؟» لأن القاعدة عند أهل العلم: أن كل رسولٍ نبي ، وليس كل نبيٍ رسولا ، ولهذا قال أبو ذر ﷺ «كم الرسل منهم؟» يعني كم عدد هؤلاء الرسل

من الأنبياء ؛ لأن كل رسول نبي وليس كل نبيٍ رسول ، قال : كم عدد الرسل منهم ؟ قال : ((ثلاث مائة وثلاثة عشر جمٌ غفير)) . فإذاً بعث الله عز وجل النبيين والمرسلين رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وهم كما جاء في الحديث جمٌ غفير ، وعدد كثير ، إقامةً للحجة وإزالةً للمعذرةِ وإبانةً للسبيل .

قال : ((**وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوحٍ إلى مُحَمَّد يأمرهم بعبادةِ الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾**)) ؛

وهنا يقرر رحمه الله تعالى اتفاق دعوة النبيين على الدعوة إلى التوحيد والتحذيرِ من الشرك ، فكلمةُ النبيين في هذا واحدة ولا خلافَ بينهم ، فهم دعاةٌ إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ، وإلى التحذير من الشرك والبراءة منه ومن أهله ، فهذا أمرٌ متفقٌ عليه بين النبيين وكلمتهم فيه واحدة ، والدليل كما قال المصنف قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ أي أن الرسل كُلَهم دعاةٌ إلى عبادة الله سبحانه تعالى وهي توحيده ، وإلى نبذ الطاغوت وهو الشركُ والكفرُ به سبحانه وتعالى كما سيأتي إيضاحٌ لذلك وبيان عند المصنف رحمه الله تعالى.

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن تقرر هذه الحقيقة وتجلي هذا الأمر ، كقول ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥] ،وقوله سبحانه ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزخرف:٤٥] ، كذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[الأحقاف:٢١] ﴿خَلَتِ النُّذُرُ﴾ أي الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾أي من أمامه ، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي قبله ، اتفقوا كلهم على هذا الأمر ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾الذي هو إخلاص العبادة لله تبارك وتعالى والتحذير من الإشراك به سبحانه وتعالى .

ولهذا جاء في القرآن الكريم عند ذكر قصص الأنبياء أن أول شيءٍ يبدأ به الأنبياء أقوامهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هو ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فهذه الكلمة هي أولُ كلمةٍ يسمعها الأقوام من الأنبياء ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ؛ فكلمةُ الأنبياء واحدة ، فكلهم دعاةٌ إلى توحيد الله جل وعلا وإخلاص الدين له ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن نبينا عليه الصلاة والسلام قال : ((نحن الأنبياء أبناء علات ، ديننا واحد وأمهاتنا شتى))؛ «ديننا واحد»: أي عقيدتنا واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله

سبحانه وتعالى وإخلاص الدين له ، «وأمهاتنا شتى»: أي شرائعنا مختلفة ، لأن الشريعة والأحكام قد تختلف من نبي إلى آخر ، كما قال الله سبحانه ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨] ، أما التوحيد فالأنبياء كلمتهم فيه واحدة ، العقيدة الكلمة فيها عند الأنبياء واحدة ليس بينهم خلافٌ في شيءٍ من هذا .

قال : ((**وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوحٍ إلى محمدٍ؛ يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت**)) ؛ لاحظ أن دعوة الأنبياء كلهم قائمة على أمرٍ ونهي ، يأمرهم وينهاهم ، كل نبي يأمر وينهى ، يأمرهم بالتوحيد ، وينهاهم عن الشرك أو ينهاهم عن الطاغوت . وهذا يُعلم به أن أمر الإنسان ودينه وأعماله وجميع طاعاته لا تستقيم إلا إذا بُنيت وأسست على هذا الأمر والنهي؛ الأمر بعبادة الله، والنهي عن عبادة الطاغوت ، أي أن يكون موحداً لله في عبادته ، بريئاً من الشرك وعبادة الطاغوت ، فإن لم يكن فيه هذان الأمران لم يُقبل له عمل ولم ينتفع بطاعة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة:٢٥٦] . وهذا يبين لنا المكانة العظمى والمنزلة العليّة للتوحيد والإخلاص والبراءة من الشرك ، وأنهما لهذا الدين بمثابة الأساس والأصل الذي يقام عليه دين الله سبحانه وتعالى .

وهنا أنقلُ كلاماً عظيماً نافعاً للشيخ عبد الرحمن بن قاسم في حاشيته على الأصول الثلاثة؛ قال رحمه الله: «وبه تعرف عظمة شأن التوحيد ، ومعرفتك عظمته بأن تَصْرف همتك إليه وإلى معرفته والعمل به غاية جهدك ، وإلى معرفة ما يضاده وما سواه من أنواع العلوم الفرعية بعد ذلك -أي يؤتى بها بعد أن يؤتى بالأصل والأساس الذي تبنى عليه الأعمال- فيهتم الإنسان غاية الاهتمام بمعرفة أصل الدين إجمالاً قبل الواجب من الفروع؛ الصلاة والزكاة وغير ذلك ، فلا تصلح الصلاة ولا الزكاة قبل الأصل ، فلابد من معرفة أصل الدين إجمالاً ثم معرفة فروعه تفصيلاً ، وفي حديث معاذ لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له : ((إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادةَ أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلِمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلة))» تنبه قال : «إن هم أطاعوك لذلك» يعني إن هم أطاعوك للتوحيد فأعلمهم بأمر الصلاة- وهذا يفيد أنهم إذا لم يعلموا التوحيد ولم يعملوا به ، فلا يدعوهم للصلاة -لأنهم لو صلوا بدون التوحيد لا تفيد الصلاة ، نرجع للحديث مرة ثانية قال ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) ثم قال: ((فإن هم أطاعوك)) ، مفهوم الحديث: أنهم إن لم يطيعوك في التوحيد لا تعلمهم بالصلاة ؛ لأنك لو أعلمتهم بالصلاة وصَّلوا بدون التوحيد الصلاة لا تنفعهم ؛لأنها قائمة على غير أصل ، ومبنية على غير أساس.

قال : «وهذا يفيد أنهم إذا لم يعلموا التوحيد ولم يعملوا به فلا يدعوهم للصلاة إن لم يطيعوه في الدخول في الإسلام، فإن الصلاة لا تنفع ولا غيرها بدون التوحيد ، فإنه لا يستقيم بناءٌ على غير أساس ولا فرعٌ على غير أصل، والأصلُ والأساس هو التوحيد ، والصلاة وإن كانت هي عمود الإسلام ؛ فمع ذلك لم تفرض إلا بعد الأمر التوحيد بنحو عشر سنين –وهذا سبق أن مرّ معنا– ومما يبين أن التوحيد هو الأصل كونه يوجِد من يدخل الجنة ولم يصل ركعةً واحدة ، وذلك إذا اعتقد التوحيد وعمل به ومات متمسكاً به ، كأن يُقتل قبل أن يصلي أو يموت –ممكن شخص يدخل الجنة وليس عنده إلا التوحيد ، ليس عنده صلاة ولا صيام مثل أن يُدعى إلى الإسلام ويبيَّن له الإسلام فيعلن إسلامه أشهد أن لا إله إلا الله وان مُحَمَّداً رسول الله ثم يُقتل أو يموت فهذا يدخل الجنة– والصلاة لا تنفع وحدها ولو صلى وزكى وصام إذا لم يعتقد التوحيد – وبذلك يُعرف عِظم شأن التوحيد– وما هلك من هلك إلا بترك العلم بالتوحيد والعمل به ، وما دخل الشيطان على من دخل ولا مزّق عقول من مزّق ولا وقع ما وقع إلا من آفة قولهم "يكفي النطق بالشهادتين ومجرد المعرفة" حتى إن من علمائهم من لا يعرف التوحيد أصلاً ، ولذلك لكونهم ابتلوا بالشرك وعبادة الأوثان وكثرة الشبهات الباطلة ، فبذلك خفي التوحيد على كثير ممن يدَّعي العلم لعدم المعرفة به ، وإلا فمعرفة التوحيد والشرك من أهون ما يكون وأسهله إجمالاً كما في زمن الصحابة فإنهم كانوا يعرفون التوحيد والشرك ، فمن قال لا إله إلا الله يترك الشرك ويعلم أنه باطلٌ منافٍ لكلمة الإخلاص، ولهذا لما دعاهم النبي ﷺ إلى التوحيد وقال: ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) قالوا : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥] ، وأما حين كثرت الشبهات صعب معرفة التوحيد والتخلص من ضده وكثر النفاق وصار الكثير يقولها –أي يقول كلمة التوحيد لا إله إلا الله– ويعبد مع الله غيره فالله المستعان» أ.هـ

هذا كلام عظيم في بيان أهمية التوحيد ومكانته العظمى وأن أمر التوحيد واضح وشأنه بيّن ، لكن لما وُجدت في بعض المجتمعات ترويج الشبهات الضالة والأهواء الباطلة أُبعِدت العقول عن صفاء التوحيد ونقاء الإيمان إلى ضلالاتٍ وشركيات وأباطيل ما أنزل الله سبحانه وتعالى بها من سلطان، وأصبح يوجد من يقول «لا إله إلا الله» ولكنه لا يقوم بحقيقة هذه الكلمة من الإخلاص للمعبود سبحانه وتعالى والبراءةِ من الشرك ، بل في اللحظة الواحدة تسمعه يقول «لا إله إلا الله» ومباشرة بعد كلمة لا إله إلا الله يستغيث بغير الله ويطلب مدده أو شفائه أو صلاحه وهداية ولده من غير الله تبارك وتعالى!! فأين هؤلاء من نور هذه الكلمة وضياء التوحيد وسنا الإيمان الذي تدل عليه هذه الكلمة العظيمة المباركة؟ .

ثم قال رحمه الله تعالى : ((**وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله**)) ؛ ومرّت معنا الآية في أن هذا هو زبدة دعوة المرسلين وخلاصة رسالتهم ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] .

قال : ((**وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله**)) افترض عليهم : أي أن هذا الأمر الذي هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فرضٌ لازم وواجبٌ متعين وأمرٌ متحتم على كل مسلم ومسلمة ، ولا سعادة ولا نجاة من النار ولا فوز برضا الله سبحانه وتعالى إلا بتحقيق هذا الأصل ، ولهذا قال الله تعالى بعد آية الكرسي ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة:٢٥٦]أي استمسك بالتوحيد وبالدين الحق. الكفر بالطاغوت والإيمان بالله هذان فرضان متحتمان ؛ افترض الله على العباد أن يكفروا بالطاغوت ويؤمنوا بالله .

ما هو الكفر بالطاغوت؟ وما هو الإيمان بالله ؟

قال شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في بعض رسائله: «صفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادةِ غير الله وتتركها وتبغضها وتكفِّر أهلها وتعاديهم» هذه صفة الكفر بالطاغوت . قال رحمه الله: «ومعنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبودُ وحده دون من سواه وتخلص جميعَ أنواع العبادة كلها له وتنفيها عن كل معبودٍ سواه ، وتحبَ أهل الإخلاص وتواليهم ، وتبغضَ أهلَ الشركِ وتعاديهم» هذا معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله سبحانه وتعالى .

ثم نقل المصنف رحمه الله نقلاً مفيداً في هذا الباب عن الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، والنقل من كتبه إعلام الموقعين ، نقل عنه أنه قال : ((**الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع**)) هذا تعريف الطاغوت ، والكلمة في أصلها مشتقةٌ من الطغيان ، الطغيان: تجاوز الحد ، فالطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع . «من معبودٍ» إذا تجاوز الإنسان حده في مخلوقٍ من مخلوقات الله فجعله معبوداً مع الله يصرف له العبادات من دعاء أو رجاء أو يذبح أو غير ذلك من أنواع العبادة ؛ كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو «متبوعٍ» أي في معاصي الله سبحانه وتعالى أو في ما حرم ، أو «مطاعٍ» من دون الله في التحليل والتحريم في أن يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله . وابن القيم رحمه الله لما ذكر هذه الأمور الثلاثة في تعريف الطاغوت قال : «فإذا تأملت طواغيت العالم فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة» ، قوله «إذا تأملت طواغيت العالم» هذا إشارة إلى أن الطواغيت كثيرون لكن هذه الثلاثة تجمع ، ولا يخرج كل طاغوت في العالم عن هذه المعاني الثلاثة وهي الواردة في قوله : ((ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)) .

قال رحمه الله : ((**والطواغيت كثيرة**)) أي عددهم كثير؛ لأنك إن تأملت كلام ابن القيم السابق يفيد هذا المعنى يفيد كثرة الطواغيت .

قال : ((**ورؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله**)) أول هؤلاء الطواغيت وأشرهم وأعتاهم وأكثرهم طغياناً إبليس لعنه الله ؛ فهو أشد الطواغيت، لأنه الداعية الأول للشرك ولعبادة غير الله سبحانه وتعالى ﴿يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾[مريم:٤٤] ، فالشيطان الداعية الأول وأكبر الدعاة إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ يدعو إلى أمورٍ كثيرة ، لكن أهم شيءٍ يدعو إليه ويجِدُّ ويجتهد في نيله ويحرّص جنوده عليه الشرك بالله سبحانه وتعالى وعبادة الطواغيت .

قال : ((**ورؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راضٍ**)) من عُبد بالدعاء والذبح والنذر والرجاء وغير ذلك وهو راضٍ ، أما من يُعبد وهو ليس راضٍ لا يكون طاغوتاً ، وعبادته طغيان ممن عَبد غير الله سبحانه وتعالى لأنه تجاوزُ للحد ، كفرٌ بالله سبحانه وتعالى ، لكن من عبد من دون الله وهو غير راضٍ مثل عيسى عليه السلام عُبد من دون الله وهو غير راض ، وعزير عليه السلام عُبد وهو غير راض ، الملائكة عُبدت وهي ليست راضية ، فكل من عُبد من ملكٍ أو نبي أو ولي من الأولياء من دون الله سبحانه وتعالى فليس داخلاً في الباب ، فالطاغوت: من عُبد من دون الله وهو راضٍ بأن يُعبد ، مقرٍّ لهذا الأمر غير منكرٍ له ، والملائكة والأنبياء وأولياء الله عز وجل الصادقين كلهم يبرؤون ممن عبدهم ، ويعلنون البراءة بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة من هؤلاء ؛ لأنهم ليسو راضين عن ذلك ، حتى نبينا عليه الصلاة والسلام يبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك ؛ لأن العبادة حقٌ لله ، لا يُدعى إلا الله ، ولا يستغاث إلا بالله ، ولا يذبح إلا لله ، ولا يُصرف شيء من العبادة إلا لله سبحانه وتعالى ؛ فكما أن ربنا عز وجل تفرد بخلق الخلق فالواجب أن يُفرد وحده سبحانه وتعالى بالعبادة فلا يُجعل معه شرك لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل فضلًا عن غيرهما ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

قال : ((**ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه**)) أيضاً طاغوت؛ من دعا الناس إلى عبادة نفسه فهو طاغوت ، حتى وإن لم يعبده ، حتى وإن لم يعبده ولا واحد من الناس فهو طاغوت ؛ طالما يدعو الناس إلى عبادة نفسه ويريد منهم أن يعبدوه أو يصرفوا له شيئاً من العبادة أو يعطوه شيئاً من حقوق الله أو خصائصه فهو طاغوت ، حتى وإن لم يقبلوا منه ، حتى وإن لم يجد من لم يقبل منه ذلك فهو من الطواغيت . مثل أن يدَّعي للناس أنه يعلم الغيب هذا طاغوت حتى وإن لم يصدقه أحد ، وكذلك من يريد من الناس أن يعبدوه

أو يعلِّقوا حاجاتهم به أو يريد أن تصرف له أشياء من حقوق الله وخصائصه هذا من الطواغيت حتى وإن لم يقبل منه أحد .

قال : ((**ومن ادعى شيئاً من علم الغيب**)) أيضاً فهو من الطواغيت ؛ مثل السحرة والكهنة والمشعوذين والمنجِّمين والرمَّالين ومن يزعمون القراءة في الكف إلى آخره ، كل من ادَّعى علم الغيب فهو من الطواغيت ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥] . فعلم الغيب أمرٌ اختص الله سبحانه وتعالى به ، فمن ادَّعى ذلك لنفسه فهو من الطواغيت ؛ لأن هذا من تجاوز العبد للحد ، فعلم الغيب لله ، فإذا ادَّعاه أحد الناس أو أحد المخلوقين لنفسه يكون بذلك طاغوتاً لأنه تجاوز بذلك الحد .

قال : ((**ومن حكم بغير ما أنزل الله**)) أي ترك أحكام الله وشرعه وتنزيله وسنَّ في الناس أحكاماً وقوانين وضعية من وضع البشر فنبذ حكم الله جل وعلا واستبدل به أحكام البشر وقوانين البشر والأمور التي وضعها البشر ، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] ، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١] ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] ، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠] .قال : ((ومن حكم بغير ما أنزل الله)) .

لما ذكر هذه الرؤوس الخمسة للطواغيت ذكر رحمه الله الدليل على أن الإيمان والتمسك بالدين حقاً وصدقاً لا يكون إلا بالكفر بالطاغوت مع الإيمان بالله سبحانه وتعالى، قال : ((**والدليل قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾** [البقرة:٢٥٦]))

قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لا تكرهوا أحداً عليه ؛ لأنه استبان أمره واتضح وظهر وبان ، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يُكره أحدٌ عليه . وقيل إن هذه الآية كانت في ابتداء الأمر ثم نُسخت بالآيات التي فيها الأمر بالقتال.

قال : ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ؛ تبين الرشد من الغي: أي تميز الحق من الباطل ، والإيمان من الكفر ، والهدى من الضلال ؛ أي بالآيات البينات والحجج الواضحات والدلائل الساطعات التي جاء بها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي أخذ وتعلق بالمعتصَم الذي لا ينفصم ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ أي اعتصم بالمعتصَم الذي من تمسك به نجا ومن لم يتمسك به هلك . وهذا فيه أنه لا نجاة ولا عصمة لأحد ولا سلامة إلا بهذين الأمرين: الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله .

قال : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ومعنى استمسك بالعروة الوثقى: أي استمسك بـ«لا إله إلا الله» ، فلا إله إلا الله هي العروة الوثقى ، ولا يكون العبد من أهل «لا إله إلا الله» إلا بتحقيق ما دلت عليه هذه الكلمة العظيمة من النفي والإثبات ، والنفي هو الكفر بالطاغوت ، والإثبات هو الإيمان بالله ؛ وبهما يكون العبد من أهل «لا إله إلا الله» حقاً وصدقاً ، أما بمجرد النطق لهذه الكلمة دون تحقيق ما دلت عليه من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فإن الإنسان لا يكون بمجرد ذلك من أهل هذه الكلمة العظيمة.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى –وهذا تقعيدٌ نافع وتأصيلٌ مفيد– يقول رحمه الله : «كل اسمٍ عُلق بأسماء الدين من إسلام أو إيمان أو غيرهما إنما يثبت لمن اتصف بتلك الصفة الموجبة لذلك»؛ أي أن مجرد الادِّعاء أو مجرد الانتماء بدون تحقيق الاتصاف بما يقتضيه ويوجبه لا يكون من أهل ذلك الوصف ، فلو قال : إني مسلم ولا يستسلم! أو قال إني مؤمن ولا يقر ولا يصدق! أو غير ذلك لا يكون من أهل هذه الألفاظ وان ادَّعاها لنفسه ، فإذًا ليست العبرة بالدعاوى وإنما العبرة بالحقائق .

ثم قال رحمه الله : ((**وفي الحديث: رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**)) «رأس الأمر الإسلام» أي توحيد الله سبحانه وتعالى وتحقيق الشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله ، فهذا هو رأس الأمر . والأمر كله يُبنى على هذا الرأس وعلى هذا الأساس ، فإذا لم يكن هذا الأساس قائماً لا يُستفاد كما تقدم من صلاة ولا من غيرها من الأعمال ، فلابد من إقامة الدين على هذا الأصل العظيم والأساس المتين .

قال ((**وعموده الصلاة**)) وهذا فيه بيان مكانة الصلاة من الدين وأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وجعلها بمكانة عليّة من الدين بحيث إنها للدين بمثابة العمود للخيمة ، ومن المعلوم أن العمود الذي تقوم عليه الخيمة إذا نُزع سقطت ولم تقم لها قائمة ، لا تقوم الخيمة إلا بعمودها ، وهذا فيه دلالة على كفر تارك الصلاة ، قال عليه الصلاة والسلام : ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر)) ففيه دلالة على كفر تارك الصلاة ، لأن الصلاة للدين بمثابة العمود للبنيان أو العمود للخيام ، فكما أن البناء أو الخيمة لا تقوم إلا على عمود فكذلك الإسلام لا يقوم إلا على هذا العماد . قال : ((وعموده الصلاة)) ومن لم يصلِّ لا حظ له في الإسلام ، وأخذاً من هذا الحديث وغيره قال أهل العلم : «من أراد أن يعرف

حظه من الإسلام فلينظر إلى حظه من الصلاة» . الصلاة ميزان يستطيع الإنسان أن يعرف من خلالها حظه من الإسلام ، والإسلام يزيد وينقص ويقوى ويضعف ، وإذا أردت أن تعرف الميزان في ذلك فعندك ميزانٌ ومحكٌ دقيق وهو الصلاة ، يستطيع الإنسان يزن نفسه من خلال الصلاة واهتمامه بها ، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون في أمر الصلاة تفاوتاً عظيماً .

قال: ((**وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**)) ذروة الشيء: أعلاه وأرفع شيء فيه ، وسمي سنام البعير سناماً لارتفاعه وعلوه ولأنه أعلى شيء في البعير وأرفعه . وعدّ النبي ﷺ الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام لأن الجهاد له في الدين المكانة العليّة والمنزلة الرفيعة .

والنصوص في فضل الجهاد ومكانته وعظيم ثواب أهله عند الله سبحانه وتعالى كثيرة في كتاب الله سبحانه وتعالى، والمراد بالجهاد: أي الجهاد الشرعي المبني على أسسٍ قويمة وقواعد مستقيمة مستمدة من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ . أما الاعتداء والظلم والبغي والخروج على ولاة الأمر ونحو ذلك مما يسميه بعض الناس جهاداً هذا ليس من الجهاد في شيء ، وفاعله لا يؤجر بل يؤزر، ولا يكون من المجاهدين ؛ لأن الجهاد أمرٌ شرعي جاء بيانه في الكتاب والسنة، فلا يُفعل إلا في ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أما أن يركب الإنسان رأسه ويحمل سيفه أو سلاحه ويمضي قتلاً وظلماً وعدواناً بغير بينةٍ ولا معتمدٍ ولا مستمدٍ من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه فليس فعله جهاداً ولا هو أيضاً من المجاهدين في سبيل الله .

وبهذا يكون المصنف رحمه الله تعالى أنهى هذه الرسالة العظيمة المباركة وختم هذه النبذة الطيبة بقوله ((والله أعلم)) بردِّ العلم إلى الله سبحانه وتعالى الذي أحاط بكل شيءٍ علماً ، وأحصى كل شيءٍ عدداً ، ووسع كل شيءٍ علماً؛ فردَّ العلم إلى عالمه ، ثم ختم بالصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

ونسأل الله عز وجل العظيم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجزي هذا الإمام وغيره من علماء المسلمين وأئمة الدين عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء ، وأن يرفع درجاتهم في عليين ، وأن يغفر لنا ولهم أجمعين . وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .